انماط صورة المرأة وتمثلاتها في المثل العربي قراءة في (مجمع الأمثال) للميداني

م.د. دعاء كميل ضيف الله
جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الانسانية
Doaa.k@uokerbala.iq

الملخص:
على الرغم من أن عدد الأمثال التي حضرت فيها المرأة - سواء أكانت منتجة أم مخاطبة أم مشاركة في حكاية المثل - قليل نسبة الى العدد الكلي للأمثال في كتاب (مجمع الأمثال) للميداني ، إلا أن لها اهمية إستثنائية حين يُقرأ هذا الوجود على إنه حضور مستمر في الفاعلية والتأثير ، ولاسيما حينما يُقرأ بآليات النقد النسوي ، الذي ينظر للأدب على إنه مساهم في تشكيل الوجود الانساني ، وصناعة الهويات ، وحينما يكون المنتج الأدبي مستلا من التراث في ظل حضارة تولي التراث أهمية كبرى قديما وحديثا ، فإن ضرورة البحث ضمن هذا المنهج - النسوي- تصبح اكثر أهمية .

المقدمة:
الحمد لله رب العالمين الذي خلق الرجل والمرأة واراد لهما أن يتحركا من عمق التجربة الحية التي نتيجتها خلافة الارض بما يشتركان به من إنسانية ، و بعث فيهم الانبياء يهدونهم لمعالم الحياة الكريمة ، وافضل الصلاة واتم التسليم على خاتم النبيين ابي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، وبعد ؛
فإنه قد تم اختيار مادة البحث

لما وجد فيها من ملامح واضحة لتشكيل ذكوري لنمط صوري للمرأة ، ساهم خلال عصور ثقافية عدة في تشكيل هويتها المعاصرة ، وتبعا لما افرزه الرصد والاحصاء تم تقسيم البحث على ثلاثة مطالب سبقها مدخل ابرزت فيه اهمية دراسة صورة المرأة في الامثال العربية القديمة ، جاء المطلب الاول ليحلل وجود المرأة بصفتها منتجة للنص (المثل) ، اما المطلب الثاني فقد تناول صورة المرأة المنمطة باتجاه سلبي بعدّ السلبية تمثل اللا فاعلية ، وجاء المطلب الثالث ليلقي الضوء على تمثيل المرأة لقيم عليا احتكرها التمثيل الذكوري للرجل ، والبحث استطاع ان يبرز اهمية هذا الحضور على الرغم من ضعفه.

التمهيد

في قراءة إحصائية للأمثال الواردة في مجمع الأمثال للميداني ، أمكن تحديد الأدوار الرئيسة التي شغلتها المرأة في هذه الأمثال ، وقد قسمها البحث على ثلاثة مطالب ، هي :

١-المرأة منتجة للنص / قائلة للمثل .

٢-الصورة النمطية (المرأة صورة منمطة باتجاه سلبي/ غير فاعلة).

٣-المرأة ممثلة لقيم عليا احتكرها التمثيل الذكوري.

ولكل من هذه الأدوار دلالات ثقافية تصب في عمق النقد النسوي ومهمته في الكشف عن الأنساق التي رسمت بها صورة المرأة في النصوص التراثية وجعلتها مؤثرة في ما تلاها ، مما يؤكد « الموقف المبدئي للنقد النسوي الذي يتحرك على محورين اثنين :المحور الاول يقوم على دراسة صورة المرأة في الادب الذي انتجه الرجال والمحور الثاني : يقوم على دراسة النصوص التي انتجتها النساء ، ويلتقي المحوران في الواقع عند نقطة واحدة هي هوية المرأة أو ذاتها " (١).

وتبرز أهمية دراسة صورة المرأة في الأمثال القديمة إلى عدة أسباب منها :

١-تعد الأمثال جزءا مهما من التراث العربي في مجال الاشتغال النقدي لاسيما الثقافي والنسوي

تحديدا ، إذ ورد إن أول مثل قالته العرب تعلق بالوجود النسوي « المرأة من المرء وكل ادماء من آدم «(٢) ، ولا سيما إن «الوعي التاريخي والثقافي بالتراث يصبح مطلبا رئيسيا عند الناقد ، وعي يدرك الناقد من خلاله فلسفة تداول الرموز الجديدة في إطار علاقتها بالظاهرة القديمة « (٣) ، و» ربما كان مصطلح التراث من بين اهم المصطلحات ذيوعا في حقل الدراسات النقدية والانسانية المعاصرة لأسباب مختلفة ،... ، ولكنها في الغالب تتعلق بمسائل التحرر والنهوض»(٤) ، وهذه المسائل هي الهدف الاساس للنقد النسوي فـ»إن إعادة قراءة ما كتبه النقاد الذكور عن النصوص المكونة للتراث الادبي والتي كتبها ذكور يكشف عن استمرار بناء معاني اختزالية متمحورة حول الرجل» (٥).

٢-كون الأمثال من الادب الشعبي فهو ينقل ثقافة العامة ، اذ لم يقف عند كلام البارزين من الناس بل نقل عن المغمورين(٦) ، لذا أمكن ملاحظة تناقضات مثلت خروجا عن النمط السائد الذي أقرته لاحقا مدونات البلاط الذي اراد رسم صورة للمرأة خاضعة بعدّها طرفا من ثنائية (الهامش/ المركز) الذي تندرج فيها (العامة/ السلطة) .

٣- وايضا يمكن عد الأمثال أقرب النصوص الواصلة لنا للغة العربية الأصلية ، وذلك يعكس لنا حضور المرأة في اللغة ، بما إن «اللغات السامية من أكثر اللغات تمييزا بين المؤنث والمذكر ويتقاسم التأنيث والتذكير مفرداتها وادواتها بالمناصفة وليس ذلك بسبب الحاجز الاجتماعي بين الجنسين ، ... ، انما يرجع الى المكانة التي تمتعت بها المرأة في الحضارات السامية»(٧).

٤-الصور التي تنقلها الأمثال أكثر دقة من غيرها من أنواع النثر ، فقد عمد العرب على نقل (نصوص الأمثال) بأمانة تامة ، حتى إنهم ومبكرا قرروا أن لا يتم تغيير أي شيء فيها وإن كان لحنا (٨) ، لذا امكن ملاحظة أمثال كان وضعه اول مرة بصيغة المفردة المؤنثة فهو وان اتخذ مسارا عاما وخوطب به المذكر ، فانه يبقى بصيغة التأنيث

الاولى (٩) ، فاصبح « من شانها ان لا تغير ، وان تظل طويلا بصورتها الاصلية ، بحكم ايجازها وكثرة دورانها على الالسنة»(١٠) .

وفي ادناه جدول بالاحصائية التي قام البحث بوضع فرضيته بناء عليها :

امثال القدماء	المرأة موجودة	المرأة منتجة للنص	الام	حمق	انثى	الكاهنة	كرم	الفروسية	عفة
٤٧٦١	٤٢١	٨٠		٢٩					٨
امثال المولدين	المرأة موجودة	المرأة منتجة للنص	٤٠	حكمة	٢٤	٧	٢	١٢	الخائنة
١٠٠٠	٢٠	غير معلوم*		١٠					٥٨

المطلب الاول : المرأة منتجة النص / قائلة المثل :

اول وجود للمرأة يطالعنا في مجمع الأمثال - على الرغم من نسبته العددية القليلة بالنظر الى العدد الكلي للامثال في المجمع - ، هي المرأة المنتجة للثقافة ، فالنقد النسوي اهتم بموضوع غياب المرأة عن التدوين لان «بإحتكار الرجل لمجال الكتابة غدا هو منتج المعرفة ومستهلكها . وظلت المرأة على هامش الثقافة وخارج دائرة الفعل . حيث أنفرد الرجل بتدوين المسيرة الإنسانية وتسجيل الوقائع والأحداث وصناعة التاريخ ، فطغى حضوره واستولى على كامل رقعة التاريخ في حين أقصيت المرأة وهمش دورها وطمر تاريخها إذ غابت عن كتابة التاريخ وصناعة الثقافة» (١١).

وقد اقتصر البحث في هذا المطلب على دراسة الأمثال قبل عهد المولدين كون الميداني لم ينقل الحكايات المصاحبة لامثالهم - أي امثال المولدين- ولا يمكن حينئذ معرفة جنس قائل المثل ، وتأتي المرويات على لسان المرأة في هذه النصوص المبكرة بدرجة عالية من الاهمية لاسباب منها :

١-كونها تمثل كسرا للقاعدة التي جعلت الرجل منفردا في رسم الصورة النهائية عنها فـ « بقدر ارتباط اللغة بالمؤسسات الثقافية التي تحقق مصالح متسيديها بقدر محاولتها تكريس ثقافة صمت النساء بإسقاطهن من اللغة ومن الرابطة الاجتماعية وتعليقهن في فضاء المفعولية / مفعولية القول لا انتاجيته «(١٢)، وتلك اللمحات التي باحت بها عن نفسها - وان كان الناقل لها هو الاخر الرجل حين قام لاحقا بانتخاب هذه الأمثال حصرا وتدوينها - تعبر الى حد ما عنها هي كذات فاعلة بدل ان تكون موضوعا لغويا فقط « مكممة الصوت ولا دليل عليها سوى ما توصف به كغياب ومضمر او ما يقال على لسانها «(١٣)، وللانصاف فحتى ان كان يوجد في هذه الأمثال المروية عنها ما ينسجم مع التنميط الذكوري فهذا يستحق الدرس، اذ ان « الصورة المستقرة للمرأة في قاع ذاكرة الوجدان الجماعي صورة المرأة من وجهة نظر الرجل أو التي أسهم الرجل وحده في إنتاجهاوإنما نعني بذلك أيضا الصورة القابعة في ذهن المرأة عن ذاتها والتي شاركت هي نفسها في أستقرارها أ أما بالأستسلام للشروط السلطوية التي أنتجها او بعدم التدخل لصياغة صورة بديلة أو الأعلان على الأقل عن الأختلاف عنها أو معها» (١٤).

ففي حكاية المرأة التي لم تجد من يعينها بعد ولادتها واعداد الطعام المخصص للنفساء (المخرس)، فهي تخاطب نفسها «تخرسي يا نفس لا مخرس لك» (١٥)، فهذه الكلمات ما كانت لتحمل هذا الصدق المعنوي على لسان أي رجل غيرها وهي تمر بحالة لا يمكن ادراكها الا من مرت بها.

وفي حكاية المثل «عي أباس من شلل» (١٦)، ان امراة تقدم للزواج منها رجلان، احدهما عي كثير المال والاخر اشل لا مال له، فاختارت الثاني، وفي قولها الذي صار مثلا، دلالة ان المرأة تريد شريكا عقليا فهي تفضله ناطقا وان كان به عيب خلقي بلا مال.

وحكاية الفتيات اللواتي تذكر كل واحدة منهن في ابيها ما تراه من

صفات تميز الرجل عن غيره ، فان واحدة منهن تقرر قبل فرويد بقرون ان «كل فتاة بابيها معجبة « (١٧) ، وفي هذا المثل فان المرأة نقلت لنا ما تفكر به النساء في مجلسهن الخاص واي الصفات الرجالية التي تسترعي انتباهها ، ولو روي هذا الحكم على لسان رجل لقيل ان صورة المرأة المعجبة بابيها صورة من وجهة نظر الاخر الابوي .

٢- هذه الأمثال بما فيها من حكمة وتوثيق عن الحياة عامة يعد انتاجا مبكرا لها على صعيد التكوين الثقافي ، وهنا الاهمية الاكبر حين يُنظر للمرأة كونها صانعة للثقافة العامة التي تحكم الجنسين معا ، وهنا تجيب عن سؤال الدكتور عبد الله الغذامي حين اثار اشكالية «انه لو تيسر للمرأة ان تكتب تاريخ الزمان والاحداث وتولت بنفسها صياغة التاريخ ولم يك ذلك حكرا على الرجل وحده ، اذن لكنا قرأنا تاريخا مختلفا عن فاعلات ومؤثرات وصانعات للاحداث ، وهنا ستكون الانوثة قيمة ايجابية مثل الفحولة تماما «(١٨) ، وما استطاع الوجود النسوي تمريره على الرغم من الحصار الذكوري للمدون العربي امكن الاقرار بانه «كلما توغل النقد في دراساته الجندرية اكتشفنا ان نتاج المرأة الفني والفكري والثقافي كان ذا شأن مهم لكن الرجل همشه واغفله قصدا وفقا للسياسات الجندرية التي تنطوي على افتراضات الرجل الناقد القبلية وطرق تعليله وتحيزه الى جنس الذكر تحيزا كاملا»(١٩). اذ حين يُروى عن الفرزدق وقد ذكر امامه شعر لشاعرة قوله :» اذا صاحت الدجاجة صياح الديك فلتذبح» (٢٠) ، اشارة منه لرفض اشراك المرأة في مهمة الرجل حصرا ، وهي مهمة (القول) وتشكيل الثقافة العامة ، مع ان الثقافة الذكورية قررت «ان تكون المرأة شاعرة فهذا اهون على الفحولة من ان تكون منظرة وناقدة وصاحبة رأي وفكر ونظرية» (٢١) ، والأمثال من ضمن التنظير الثقافي الذي اخذ دورا في تشكيل الحضارة.

٣- في هذه الأمثال محاولة معكوسة من المرأة لتنمط صورة الاخر / الرجل ، وقد استهجن النقد

العربي ان يكون الرجل على الصورة التي تريدها النساء له ، وحاول ان يظهر ان الصورة التي ترسمها النساء للرجل محصورة في المظهر الخارجي مما يجعل هذا الرأي النقدي بدوره تصوير للمرأة في كونها سطحية ، فعند قدامة « يقال ان الانسان غزل اذا كان متشكلا بالصورة التي تليق بالنساء ، وتجانس موافقاتهن لحاجته إلى الوجه الذي يجذبهن إلى أن يملن إليه ، والذي يميلهن إليه هو الشمائل الحلوة ، والمعاطف الظريفة والحركات اللطيفة والكلام المستعذب والمزاح المستغرب»(٢٢) . وهذا الرأي نقضته امثال عدة ذكرها الميداني منها ما كان على لسان المرأة نفسها وهي تقيم الرجل بغير ما ذكر قدامة ، فالفتاة التي اشتهر جمالها فتسابق الخطاب للزواج منها واخذ كل منهم يستعرض امامها مهارته ، تنصحها اختها بالمثل : «ترى الفتيان كالنخل ، وما يدريك ما الدخل»(٢٣) ، منبهة الى ان الرجل قد يعجب ظاهره الا ان ما يحمل من صفات معنوية هي الاهم .

ومثل قول ملكة سبأ وقد خطبها رجل « لاعتاب على الجندل «(٢٤) ، ففي حكاية المثل انّ الخاطبين يصفون ما يمتازون به من مثل عليا وهي تفاضل بينهم من دون ذكر للغزل الذي اشار اليه قدامة . ويلاحظ انها عمدت الى اسلوب السخرية من صفات الرجل التي لا تلاقي رضاها ، مؤشرة الى انها قادرة على الانتقاص منه حين تجد فيه ما يعيب وليس هذا الامر حكرا على الرجل ، ففي حكاية الزوج البخيل الذي كان لا يشتري اللحم لبيته وقد دخل فوجد عند زوجته لحما تاكله ، فاقبل يأكل معها وهو يجمع قطعتين قطعتين في تناوله ، فقالت تسخر منه « ابرما قرونا» (٢٥) ، وفي موضع اخر « ألام من البرم القرون «(٢٦) .

وكذلك حكاية الزوج الذي دخل بيته فخبروه بولادة طفل له ، فلم يبال بل طلب الطعام بسرعة فلما قدم اليه وشبع سأل عن المولود والوالدة ، فقالت من حضرت الموقف : «غرثان فاربكوا له»(٢٧) ، هازئة من اهتمام الرجل بطعامه الى

هـذا الحـد ، ومثـل هـذا المعنـى قالتـه اخـرى «ببطنـه يعـدو الذكـر»(٢٨). والرجـل الـذي هـرب مـن قتـال العدو مختبئـا ببيتـه ، فـرأى زوجتـه تنظـر الى القتـال فضربهـا غـيرة ، فالزوجـة لم تصمـت وانـما عيرتـه بـما سـار مثـلا « أغـيرة وجبنـا « (٢٩).

وتكـررت في كتـاب (مجمـع الأمثـال) حالـة المـرأة التـي تتـزوج مـرة اخـرى بعـد فـراق لمـوت او طـلاق ، وهـي تقـارن بـين الزوجـين علنـا وتقـدم الافضـل بينهـما بـما تـرى انـه يمتـاز بـه مـما يسـتفز الـزوج الـذي يكـون حـاضرا يسـمعها ، وهـذا في حكايـة المثـل «حـق لفـرس بعطـر وانـس « (٣٠)، فهـي بعـد ان ذكـرت زوجهـا الراحـل (فـرس) وقـد مـرت عـلى قـبره بانـه كان افضـل مـن زوجهـا الحـالي دفعهـا زوجهـا فسـقطت وبيدهـا عطرهـا عـلى القـبر فانسـكب عليـه ، فلـم تـترك الموقـف الا وهـي تزيـد للـزوج الراحـل المـدح والتنكيـل بمـن لا تهـواه فتقـول اسـتحق العطـر وان تكـون هـي اُنسـه.

٤-سـجلت لنـا الأمثـال نـماذج مـن الشـواعر اللائـي قلـن ابياتـا يتيمـة فيهـا مـن الحكمـة مـا جعلهـا تـدور عـلى الالسـن وتـضرب امثلـة ، ممـا يدفـع للبحـث بالقـول ان المنتجـة لهـذا الشـعر لم تقلـه ابتـداء ولم تقلـه وتصمـت ، فضـلا عـن انـه وبحسـب الحكايـات المصاحبـة لمناسـبة قـول المثـل فانهـا تقولـه ارتجـالا ، وهـذا يؤكـد انـه لابـد ان تكـون هـذه الاشـعار مسـبوقة ومتبوعـة بشـعر اقـل مـا يقـال عنـه انـه ناضـج ، كـما يؤكـد تعمـد اغفـال روايـة وتـداول ومـن ثـم تدويـن اشـعار النسـاء لاسـباب اهتـم بهـا النقـد النسـوي .

ينقـل الميـداني حكايـة مثـل لامـرأة انجبـت ثـلاث بنـات فهجرهـا الـزوج حتـى مـر قـرب بيتهـا فاسـمعته ابياتـا وهـي تلاعـب ابنتهـا تقـول فيهـا :

ما لأبي الذلفاء لا يأتينا
وهو في البيت الذي يلينا
يغضب ان لم نلد البنينا
و انما نعطي الذي اعطينا[٣١]

وهنـا يمكـن تسـجيل صـوت مطالـب بحقوقهـا والدفـاع عـن بنـات جنسـها التـي لم تـدون في التاريـخ البـشري الا بعـد قـرون مـن وقـت هـذا القـول .

وقالت عجوز ما ذهب مثلا :

ليت حظي من ابي كرب
ان يسد عني خيره خبله [٣٢]

وحكايته ان شدة نزلت بقوم فبشروا عجوزا عمياء فيهم بقرب ابو كرب وهو تبع من تبابعة اليمن فانشدت بيت الشعر المذكور ، وفيه رؤيا سياسية عميقة تقارب ما رواه الله سبحانه وتعالى عن بلقيس ملكة مأرب وقد قرب سليمان - عليه السلام- بجيشه من دولتها فقالت « ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون «[٣٣].

وفي حكاية خذام بنت الريان ، ان قوم ابيها اقتتلوا مع اخرين ، فلما غلب اعداؤهم فروا ليلا حتى عسكروا في ارض بلاقع ، فتبعهم القوم فاثاروا القطا فتنبهت خذام لذلك فقالت ما اشتهر عنها مثلا :

الا يا قومنا ارتحلوا وسيروا
فلو ترك القطا ليلا لناما (٣٤)

والفتاة التي راتها امها تحثو التراب على راكب فسالتها فقالت :

يا امتا ابصرني راكب
في بلد مستحقر لاحب
فصرت احثو التراب في وجهه
عني وانفي تهمة العائب

فاجابتها امها بما ذهب مثلا :

الحصن اولى ان تأييته
من حثك الترب على الراكب[٣٥]

المطلب الثاني : الصورة النمطية (المرأة صورة منمطة باتجاه سلبي/ غير فاعلة)

يقصد بالصورة النمطية هي «نظرة مفهومة في تبسيط الامور وغالبا ما تكون مشبعة بالاحكام القيمية تكون على اساس الحكم على الاتجاهات والتصرفات والتوقعات الخاصة بأحدى الجماعات او احد الافراد وهذه الاراء والنظريات قد تكون متجذرة في اعماق الثقافات الجنسية او الثقافات العرقية وغيرها من الثقافات المتعصبة ،...، بحيث تستعصي عادة على التغيير الى حد بعيد كما تقوم بدور هام في تشكيل اتجاهات اعضاء الثقافة «(٣٦) ، وهي « تميل اكثر الى كونها احداثيات سلبية تقود الى عاملي الاثنية والعنصرية لكون صيرورة قولبتها تتشكل من ثقافات بعيدة ومجهولة» [٣٧].

ومن الارقام التي وضحتها الاحصائية للوجود النسائي في كتاب (مجمع الأمثال) التي قام عليها البحث يظهر واضحا ان التنميط يميل الى الصورة السلبية مقابل الصورة الفاعلية ، اذ تعد السلبية في النقد النسوي هو عدم الفعل ، حتى انه « يقال الانوثة سلبية والذكورة فاعلية»(٣٨) ، وكانما حدد « مصير الانثى هو القبول السلبي بأختيارات محددة والصبر على المكاره والعقاب على التجاوزات»(٣٩).

ومن الصور النسائية التي وجد البحث انها تتسم بالتنميط السلبي ، هي : الام والانثى والكاهنة والحمقاء .

١- الام :

وللام مكانها البارز في موضوعة المرأة في كتب الأمثال ، فالعرب اهتمت بالمرأة أماً لانهم اهتموا بالتناسل وكثرة الولد بل عدوا الانجاب ملازما للوجود فعندهم من «لا يلد لا ولد»(٤٠) ، والرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وجه الى الزواج من الولود فقد اراد تكثير النسل للقيام بما دعي اليه(٤١) ، بل انهم اوقفوا وظيفة المرأة على دورها الولادي ، من دون ذكر دورها التربوي ، فحين توفت اخت لعمر بن عبد العزيز لم يرض أن يُعزى فيها قائلا : « أدركت الناس وهم لا يُعزون في المرأة إلا أن تكون أُمّا «(٤٢) ، وقد وردت امثال عدة تمجد امرأة بعينها كونها كثيرة الانجاب « انجب من مارية « ، و» انجب من فاطمة بنت الخرشب الانمارية» ، و» انجب من ام البنين « ، و»انجب من خبيئة» و « انجب من عاتكة» [٤٣] ، ومن هذا المنطلق فالبحث اختار تصنيف حالة الام تحت التنميط السلبي / اللا فاعل ، لان في الأمثال موضع البحث غاب حضورها أُمّا صانعة للفرد الا في امثال قليلة بالنسبة للاغلب .

وهذه الصورة غير الفاعلة تعتمد على « تعطيل الأنا عند المرأة وتعطيل المواجهة الصادقة مع الآخر فهذه العلاقة التي بين المرأة ووليدها نوع من اقتصاد (الهبة) حيث تهب المرأة كل شيء ولا تتوقع شيئا في مقابل ذلك» (٤٤) ، ومن الجانب الاخلاقي

فهناك رأي مفاده « انه كلما كان الخلق الانساني الزاميا قل ميل المجتمع الى اعتباره فضيلة » [٤٥] ، وهذه الامومة «تجعلهن اقل عنفا واشد رغبة في حل المنازعات سلما ولذلك يلاحظ ان معظم النساء ينفرن من الموضوعات التي تؤدي الى معاناة البشر ويجبذن الرعاية والاهتمام بالآخرين والمحافظة عليهم نفسيا وجسديا» [٤٦].

وقد عمد الادباء الجاهليون الى الاهتمام بالجانب الخير من الصورة الامومية وان كان الحسي موجودا ايضا (٤٧)، ويلاحظ في صورة الام التي خلدتها الأمثال وضوح هذا الجانب ايضا ، فالام العجوز التي يرميها ابنها في وادي السباع نزولا عند رغبة زوجته وتنكر ومر بها فوجدها تبكي خوفا عليه من السباع فسالها الدعاء عليه فقالت المثل :» تابى له ذلك بنات الببي « [٤٨] .

وتتمثل الصورة السلبية / عدم الفاعلية باتم معانيها في المثل « رب حمقاء منجبة «[٤٩] ، فهي لا دور لها سوى الانجاب وان كانت مسلوبة العقل ، واما المثل « ام الجبان لا تفرح ولا تحزن»[٥٠] ، فيقول ان حتى مشاعرها رهن بفعل الابن / الذكر. وحين يضرب مثلا عن الحزن العبثي الذي لا نفع فيه / لافعل فيه (سلبي) ، فتكون بطلة الحكاية امراة عجوز خرفت فبكت ابنا ميتا « تذكرت ريا صبيا فبكت «[٥١] . وان كان وجودها/ المرأة مرتهنا بفعل الولادة ، فهي تندم على هذا الفعل غير المخيرة به / لا فعل اذا وجدت في ابنائها عقوقا ، فمعنى المثل « علي فاض من نتاقي الالبة ... انا التي فعلت هذا بنفسي حيث ولدت هؤلاء» [٥٢] .

٢- الانثى :

الصورة الثانية التي تراود المخيلة حينما تذكر المرأة هي صورتها بوصفها انثى ، أي بصفات الانثى الشكلية والخلقية ، ووجودها هذا محل تساؤل فالمثل الذي اطلقه المولدون « من لا ذَكر له لا ذِكر له « [٥٣] ، فيه استفهام عن وجودها اصلا ، فكونها انثى فهي تمنع الفعل عن المنتسبة اليه لا عن نفسها فحسب ، فـ « لقد اتصف خطاب

الرجل في ظل الاعراف القيمية التي ارساها بالتعسف في نظرته الى المرأة التي ربطها بالدونية فنظر لها على كونها محض اداة للامتاع الجنسي وعدها جسدا لا عقل له فأصبحت مفعولا به في علاقة اشكالية لفاعل وحاضر المرأة بمقولة المرأة الانثى الكائن الحسي الاضعف بدلا من مقولة المرأة / الانسان ولقد احتفظ السجل التاريخي للذكورة العربي والغربي على حد سواء بصور عدة للمرأة تكرس من سلبيتها فهي عند العرب المؤيدة والمعبودة والمعشوقة فأن نموذجي المرأة المعبودة والمعشوقة يكرسان من وجهة اخرى سلبية المرأة التي يتوجه اليها بالفعل ولا تقوم به لتظل دوما في موقع المفعولية «(٥٤). وقد امتلأ الادب العربي بنماذج للمراة الانثى التي ناقضت الصورة القدسية للام لتكون صورة دنيا(٥٥) ، وهذا الاهتمام بكونها انثى اذا عد انتصارا لجهالها فذلك « لن يؤثر على العلاقات التراتبية الواقعية التي تقضى بتبعية المرأة الرجل ومن نواح عدة من الممكن التأكيد على انه ساهم في تدعيم النموذج النمطي للمرأة الضعيفة والسلبية المتدنية العقل والتي مآلها تبعية الرجل»(٥٦) .

فكونها انثى فهي مقيدة بما لا يسمح لها بالحراك فاي امر ينتقص من صورتها العرفية سيحكم عليها بالشلل الاجتماعي الابدي ، اذ انهم سيروا المثل « عار النساء باق»(٥٧) ، وكونها انثى فهي في محل رد الفعل لا ابتدائه ، فجاء في الأمثال « الكلام ذكر والجواب انثى « (٥٨).

والمرأة في الأمثال خلية فارغة الامر حتى ليقال عنها « ظلت في فراشها تكرى»(٥٩) ، وربّ قائل ان هذا المثل فيه وصف لتنعمها ورفاهها فالنقد النسوي وجد في ذلك ايضا تنميطا بسلبيتها «التغزل في سلبية المرأة بأعتبار طبيعتها وفطرتها يعني بالضرورة هجاء ايجابيتها وقوتها واعتبارها خارجة عن طبيعتها او شاذة تستوجب الكره او الاستقباح او على الاقل السخرية والتهكم « (٦٠) ، والمثل « لا تعدم الحسناء ذاما « (٦١) ، يبرر لها كونها تمتاز بصفات الانثى المنشودة ان تتصف بما يذم ، فالنمط

الذكوري اعطاها سببا للرضى عن نفسها .

وحتى اذا سعت المرأة الى ايجاد مكان لها في الحياة فان انوثتها تقلل من قيمة انجازها ، فالمثل العربي « امامها تلقي امة عملها « (٦٢) ، يفترض ان السبل مشرعة امام المرأة العاملة لانوثتها حصرا .

ولم تكتف انوثتها بتركها بلا فعل بل هي عامل الهاء عن عظام الامور ، فهي تضع الرجل في حقل اللا فعل ، اذ يحكى ان قوم عاد لما كذبوا النبي هود (عليه السلام) ، انقطع عنهم المطر ثلاث سنوات ، فذهب منهم وفد الى مكة يسالونهم المعونة ، وكان سيد مكة انذاك معاوية بن بكر من العماليق وكانت له قينتان تسميان الجرادتان ، فانزل معاوية الوفد عنده ، فاقاموا عنده شهرا ، اكرمهم فيه والجرادتان تغنيانهم ، فنسوا قومهم والامر العظيم الذي نزلوا مكة من اجله ، فقيل المثل « تركته تغنيه الجرادتان « (٦٣) ، وذات المعنى يرد في حكاية مثل اخر عن رجل خرج في طلب حمارين ضلا له ، فرأى امراة منتقبة فاعجبته ، فلم يزل يلح عليها حتى اسفرت له فلم يعجبه ما راى من شكل فمها ، فذكر ما كان فيه فقال « ذكرني فوك حماري اهلي «(٦٤).

واذا اراد العربي ان يضرب مثلا بمن يتعاطى ما لا يحسنه فانه يضرب مثلا بالمرأة ، وهي تقوم بشأن نسائي يتعلق بكونها انثى ، فالمثل « حلأت حائلة عن كوعها « (٦٥) ، عن المرأة التي تزيل القشر والوسخ عن الجلد والمثل يفترض ان المرأة الصناع تستعجل فتحلأ عن كوعها ، فهي اذا صارت في مجال الانتاج فهي لا تجيده وان كان من شانها الخاص فخير لها ان لا تفعل.

٣- الكاهنة :

ارتبطت صورة المرأة في المدون الذكوري بالميل الى احالة الاسباب الى الغيبيات والابتعاد عن المنطق ، فـ « ان الحدس أي البصيرة او المعرفة المجتناة من دون تفكير عقلاني مثبت يبدو غامضا ولا عقلانيا لذلك ارتبط في ثقافتنا بالانثوية «(٦٦) ، ذلك ان الباحثين في المجتمع الذي يتصف بالتخلف جعلها فيه قاصرة عن التفكير الجدلي(٦٧) ،

فصار استخدام « مصطلح (الحدس النسوي) على سبيل انتحال الاعذار لقدرة المرأة على التفكير وعلى اساس النموذج النمطي الشائع للمرأة المحكومة بالغريزة والعاطفة يسري هذا التغيير النساء لا يستطعن التفكير وبالتالي يجب عليهن استخدام الحدس للوصول الى الاجابة الصحيحة «(٦٨).

وابرز مثال في مجمع الأمثال لاتصاف المرأة بالحدس هي شخصية (زرقاء اليمامة) ، اذ تكرر ذكرها في اكثر من موضع ، فمرة « ابصر من زرقاء اليمامة «(٦٩) ، ومرة « احكم من زرقاء اليمامة « (٧٠) ، وان قرن وجودها بالابصار والحكمة فهما هنا خارجان عن فعلها فليس لعقلها دور انما هي ملكة خلقية ، فقد جاء في حكايتها انها كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة ايام ولما حذرت قومها من قدوم العدو مختفيا باغصان الشجر ولم يصدقوها تمكن العدو من اسرها وشقوا عينيها فوجدوا فيها عروقا سودا من الاثمد وكانت تكتحل به .

٤ – الحمقاء

والحمق يرتبط بصورتها قاصرة على المستوى العقلي الذي حرص التنميط الذكوري على تاصيلها ، مما يجعل فعل المرأة لا فعلا على المستوى الانتاجي ، ، ولا يمكن ان نلوم العربي على هذا التنميط فتنطلق « ثقافة الجنس الجميل من منطق ذي نمط (عتيق) قائم على عدم التكافؤ وعدم التشابه الجذري بين الجنسين فالقوة والعقل للرجل والضعف العقلي والجمال الجسدي للنساء : فكلا الجنسين ينظر اليهما تحت لافتة تغاير الخصال على امتداد تاريخ سحيق ولكن من جهة اخرى ارتبطت قداسة مماثلة بزعزعة الاقتصاد التقليدي للتمايز بين الجنسين حتى وان نالت النساء ادوارا ومكانات معترفا بها مجتمعيا لكنها زجت في خانة الطبيعة الهمجية والفوضى وبالتالي اقصيت من الوظائف الثقافية النبيلة»(٧١).

وجاءت الأمثال التي تدور في هذا المقصد في مجالين :

أ- السخرية من حمقها

في المثل «حدث حديثين امراة فان لم تفهم فاربعة « (٧٢) ، تنميط صريح لصورة المرأة قليلة الفهم وان على محدثها تكرار قوله عليها مرتين او اربعة حتى تفهمه وفي التعليق على المثل ينصح بان تستعمل معها العصا ان لم تفهم بعد هذا التكرار . واما شخصية (جهيزة) فقد تكرر عنها اكثر من مثل يحكي كلها عن حمقها حتى صار يضرب بها المثل لكل احمق وحمقاء (٧٣) ، وكذلك شخصية (دعة) ، فالروايات التي تنقل عن حمقها مبالغ فيها مما يدفع البحث للقول بوضعها ، فهي مرة تقتل ولدها لانها ارادت معرفة ما براسه فيبكي ومرة فهي تشق ولدها نصفين تحقيقا لحلم امها التي راتها تحمل طفلين ، وما الى ذلك من اخبار [٧٤].

وهناك الحمقاوات اللائي يعطين صورا بانهن غير مؤهلات لادارة المال ، فمنهن من تمهر من مال ابيها او نعمه [٧٥] ، والتي تفسد مالها «خرقاء وجدت صوفا «[٧٦] ، والتي تغزل فتأمر جواريها بعد ذاك بنقض الغزل(٧٧) ، و «من حفنا او رفنا فليقتصد «(٧٨) ، هو قول امراة كان الناس يحسنون اليها فلما ظفرت يوما بنعامة القت عليها ثوبها واسرعت للقوم تستغني عنهم فعادت لصيدها فوجدتها فرت بالثوب ، فاصبح قولها يضرب مثلا لمن يبطر ويثق بغير موضعه ، وفي حكاية المثل «اسرق من شظاظ»[٧٩] ، فان امراة يخادعها سارق يدعى شظاظ فيخدعها فتضيع بعيرها .

وهناك الام الحمقاء التي لا تحسن ان تسقي ولدها اللبن او الدواء «ما تحسن تعجوه ولا تنجوه» (٨٠) ، والزوجة التي تعيش بسعادة فاذا وسوست لها صاحبتها بان زوجها يمنع عنها اطيب ما في الذبيحة وساقت لها اسمها لم تعرفه صدقت وغاضبت الزوج وطالبته به واذا به ارذل ما فيها ، فخربت ما بينها وبينه [٨١] .

فاذا خرجت من بيتها لم تهتد للعودة اليه فاذا وجدته بعد بحث لخمس مرات وهو بجنبها فتعجبت لسرعة اهتدائها اليه[٨٢] ، فهي فوق خرقها فانها «خرقاء ذات نيقة «[٨٣] ،

فهي تدعي المعرفة على الرغم من جهلها ، وهي « خرقاء عيابة «(٨٤) ، تتصف بالحمق وتعيب غيرها .

ب- تحذير الرجل من تبعة مشورتها لان قصورها العقلي سيؤدي بالمسترشد بها الى الضلال

حذرت الأمثال الرجل من مشاورة النساء ، فـ «ما امر العذراء في نوى القوم ؟»(٨٥) ، فهن لا يهدين الى غير الشر فاصبح «تبع النساء ضلة» (٨٦) ، اذ ان «النساء حبائل الشيطان «(٨٧) ، وعلى الرجل ألا يأتمنها سره (٨٨) ، فـ «طاعة النساء ندامة»(٨٩) ، لان»لب المرأة الى حمق « (٩٠) ، فيا ايها الرجال «اياكم ونكاح الحمقاء « (٩١).

وتاتي حكايات الأمثال لتؤكد انه لا يجب ان يعطى للمرأة الخيار والا رمت بنفسها الى التهلكة ، ففي حكاية المثل «زوج من عود خير من قعود»(٩٢) ، فتاة يمنع الاب الخطاب عنها واخواتها فيسمعها تتمنى الزواج من أي احد ، فيزوجها ويمر عليها بعد حول فتشكو اليه ضيق الحال وسوء طباع الزوج ، الذي سبق وتمنته . ومثلها حكاية مثل اخر عن امراة تصر على تزويج ابنتها بمن لا يرتضيه الاب فلما غلبته وزوجها اساء الزوج للابنة فطلقوها ، فضرب المثل للتحذير من سوء العاقبة(٩٣) .

المطلب الثالث : المرأة ممثلة لقيم عليا احتكرها التمثيل الذكوري:

تعرف القيمة بانها « نموذج ذهني نسبي من المعتقدات والتصورات - الايجابية أو السلبية- منسوجة حول شيء ، او معنى، او نمط سلوكي ، يتحكم في نفوس الناس ، وطرائق تفكيرهم ، واحكامهم ، واختياراتهم ، ومواقفهم ، وتصرفاتهم ، وذلك بصفة مستمرة نسبيا . وتترتب عليه نظرة المجتمع الايجابية او السلبية الى افراده . ومن ثم فانه يسهم في تنظيم شبكة العلاقات الحيوية - التي تحدد هوية الانسان ، ومعنى وجوده ، وغاياته - في ما بينه وبين نفسه ، ثم بينه وبين الاخرين ، والمؤسسات ، والواقع العام ، مكانا وزمانا «(٩٤) ، وقد تراكمت الثقافة الذكورية وهيمنت على النسق الاجتماعي والفكري السائد ومن اهم مرتكزاتها اضفاء كل مظهر

قيمي فاعل الى الرجل واعفاء المرأة من مضمون هذه القيمة ليكون وجودها غير فاعل وغير هادف ، فـ « الضاغط النسقي لا يسمح للتأنيث والذات الخاصة ان تكون ذات شأن وتمت برمجة المرأة على هذا التصور حتى اصبح نوعا من اليقين يتردد على السنة الرجال والنساء معا» (٩٥) ، ونتج عن ذلك « ان المرأة قد بقيت طيلة هذه العصور في حالة من السلبية الكاملة التي تجعل كل حكم اخلاقي عليها غير ممكن فقد انتهى بها القسر والالتزام الى ان تكون حياتها سلسلة طويلة من الامتناعات عن السلوك فلم تتصف بأية اخلاق ايجابية « (٩٦).

فقد حدد قدامة بن جعفر الفضائل التي يمدح الرجل بها بانها العقل والشجاعة والعفة ، مؤكدا ان هذه الخصال مما لا يجذب المرأة في الرجل فان ما يجذبها اليه فقط صفاته الظاهرية لا خلاله المعنوية ، مما يدل على ان المرأة في نظر العربي لا تُعنى بالمثل الاخلاقية التي تسمى الفضائل ، فقدامة يرفض ان تدخل الصفات الجاذبة للمراة في باب المديح بل جعلها في باب النسيب حصرا ، وحددها بما يتصف به الرجل من صفات خَلقية فقط(٩٧) ، ليأتي متاخرا عباس العقاد مقررا ان الخصال الفاعلة للمراة لا تعدو ان تكون «الحياء والحنان والنظافة « (٩٨) .

ويفهم من هذا ان المرأة غير مطالبة مجتمعيا بالتحلي بالفضائل العليا ، بل قد يعاب عليها ان تتحلى بما قرته الثقافة انه من خصائص الرجل ، وهذا ما دعا بعض الباحثين في العصر الجاهلي بالحكم ان «وضع المرأة بصورة عامة كان فرديا ، لا يليق بمكانتها الموكولة اليها في الحياة « (٩٩) ، فالنماذج النسوية في الأمثال - خاصة المنتمية الى العصر الجاهلي - فيها مواقف فردية ظهرت بها المرأة بصورة مغايرة لما اريد تنميطها به فيما بعد ، ولكن لا يمكن ان يطلق على هذه الحالات المعدودة التي سجلت للمراة مواقف ايجابية صورة منمطة عنها بحسب مفهوم النقد النسوي ذلك ان «هناك من يرى ضرورة قراءة صور المرأة في الوعي الذكوري من خلال العموميات

وتجنب الحالات الخاصة «(١٠٠). الا انه لا يجب اغفال ذكر الوجود النسوي في الجانب المشرق وان كان يبدو من ناحية الكم الكلي للامثال محل الدرس استثناء ، لذا ارتأى البحث ان يفرد مطلبا لاضاءة الأمثال التي نقلت اتصاف المرأة بهذه الفضائل التي حاول التنميط الذكوري ابعادها عن مجالاتها ، وقد وجد احد الباحثين ان التربية الاجتماعية في كتب الأمثال تدور في ثلاثة محاور الفروسية والكرم والشرف [١٠١] ، لذا سيتم دراسة الوجود النسوي في مجال هذه القيم الثلاث ، فالمرأة مثلت جانبا من كل محور بما يجعلها ذات دور فاعل في تأصيل القيم العربية ولم تكن متلقية فقط او حاضرة بل منتجة لهذا الفعل :

١ – الفروسية :

فقد ارادت الثقافة السائدة ان تصور المرأة قعيدة الخباء تنتظر ان يفعل بها ما يقرره المحاربون ، فهذا الشاعر العربي يقول من الخفيف :

كتب القتل والقتال علينا
وعلى الغانيات جر الذيول[١٠٢]

فلا حول ولاقوة لهن ولا دور فاعل لهن في الحروب وايام العرب ، الا ان مجمع الأمثال يذكر لنا جملة من الاخبار التي تشير الى تقبل الراوي العربي - الذي نقل هذه الأمثال شفاهية عبر عصور عدة حتى وصلت الى التدوين - المشاركة الفاعلة من المرأة بتنوع مكانتها الاجتماعية في مجال الحرب والفروسية ، وهذه الاخيرة قيمة عليا لدى العربي الذي يرى في القتال ميزة مكنته من سيادة الصحراء .

فالزباء وهي ملكة الحيرة وكانت من العمالقة ، ضرب بها المثل لقوتها ومنعتها فقيل « اعز من الزباء» [١٠٣] ، قادت جيشا لتخترق حصنا دومة الجندل (مارد) والسموءل بن عاديا (الابلق) فلما تمنعا عليها قالت «تمرد مارد وعز الابلق» [١٠٤] ، فذهب قولها مثلا .

ولم تقتصر مشاركة النساء على ملكات الحواضر بل ان القبائل كانت تستعين بالنساء للتحضيض في الحروب ، ومنهن حليمة بنت الحارث بن ابي شمر حتى ضرب بها المثل «اعز من حليمة» [١٠٥].

ومن اخلاق الفروسية الاجارة ، وقد مر في مجمع الميداني امثال عدة عن نساء أجرن رجالا احتموا بهن ، وفي حكاياتهم ما يبين فضلا عن التمسك بالقيمة الفضلى انهن تمتعن بقوة بدنية ساعدتهن على الذب عن المستجير بهن ورد طالبيه (١٠٦) ، والبسوس وان اشتهرت على انها مثل للشؤم الا ان اصل حكايتها فيه هو الدفاع عن الجار(١٠٧) ، وفي حكاية فكيهة بنت قتادة بن مشنوء ، انها اجارت السليك بن السلكة وقد طلبه القوم فاستجار بخيمتها فمنعت عنه الناس (١٠٨) ، فقال فيها :

لعمر ابيك والانباء تنمي
لنعم الجار اخت بني عوارا
من الخفرات لم تفضح اباها
ولم ترفع لاخوتها الشنارا[١٠٩]

وفي حكاية المثل « صارت الفتيان حمى » [١١٠] ، تبرز صورة اخرى ، فالمرأة ليست مثلما اريد تصويرها مهمتها جر الذيول في انتهاء الحروب فقط ، بل انها قد تقتل على الرغم من تجردها من السلاح الا انها قد يكون لها موقف قيمي في الدفاع بما تملكه من بيان عن قومها فيخاف من بقائها فتقتل ، ففي حكاية هذا المثل ان بني تميم قتلوا اخا عمرو بن هند الملك ، فسار اليهم بجيش يطلب الثأر ، ولما وجد ان ديارهم خالية الا من امراة كبيرة السن هي الحمراء بنت ضمرة بن جابر ، فدار بينهما حوار يسال فيه عن رجال قومها فكان جوابها متحديا يفيض عزة وقوة ، فما كان منه الا ان امر باحراقها فنادت ان يفديها احد فلم يفعل فقالت المثل واحرقت.

لكن المدون الذكوري لم يترك صورتها دون مناقضة لتكون طارئة على موضوعة الفروسية هذه فالمثل « تفزع من صوت الغراب وتفرس الاسد المشتم» [١١١] ، يحكي عن امراة اصطادت اسدا ونعق قربها غراب ففزعت .

٢- الكرم

جذبت صفة الكرم المادحين ليخلدوا من اتصف بها ، وقد « كان يُقَال: شرّ خصال الملوك الجبن عَنِ الأعداء، والقسوة عَلَى الضعفاء، والبخل عند الإعطاء» [١١٢] ، لكن في حين عيب على الرجل ان

يتصف بالبخل عد ذلك مكرمة للمرأة « قال الصفدي : البخل والجبن صفتان مذمومتان في الرجال ، ومحمودتان في النساء لأن المرأة اذا كان فيها شجاعة ربما كرهت بعلها ، فأوقعت فيه فعلا ادى إلى إهلاكه وتمكنت من الخروج من مكانها على ما تراه ، لأنها لا عقل لها يمنعها مما تحاوله ، وإنما يصدها عما يقتضيه الجبن الذي عندها ... وإذا كانت المرأة سخية جادت بما في بيتها ، فأضر ذلك بحال زوجها ، ولأن المرأة ربما جادت بالشيء في غير موضعه »[١١٣] ، وقد سجل البحث شبه غياب لحضور المرأة في الأمثال عن هذه الصفة ، الا ان الراءة النسوية من الممكن ان تسجل لها غلبة في المجال ذاته حين يكون رمز الكرم العربي المسيطر في الثقافة العربية منذ النقل الاول للنص حتى العصر الراهن ، يتمثل في شخصية (حاتم الطائي) ، وهنا المفارقة التي غابت عن تمجيد هذه الخصلة ودونها الميداني في مجمعه ، ألا وهي ان حاتم الطائي الذي يضرب به المثل بالجود قد ورث هذه الصفة عن امه (غنية بنت عفيف)[١١٤].

وفي مثل اخر «بيتي يبخل لا انا »[١١٥] ، فان امرأة تدافع عن تهمة وجهت لها بالبخل عن الاعطاء وهي لا تملك ما تعطيه .

وعلى الرغم من ندرة الأمثال في هذه الموضوعة (الكرم) ، الا ان المعاني التي تنقلها عميقة تدل على سياق موجود بالفعل وان غيب فلاسباب التنميط الذي اريد لصورتها في ثنائية :

الرجل / المرأة
الواهب / المستلم
المتبوع / التابع

٣- الشرف

غلب على الأمثال الواردة في المجمع ما أساء الى المرأة فاظهرها ذات غلمة وفساد ، وكأن العرب وقد كانت هذه الحكايات مادة سمرهم وتسليتهم وجدوا فيها ما يبعث على التندر والتفكه ، فنمطت المرأة في صورة سادت على غيرها التي تمثل المرأة العفيفة وتمثل قيمة الشرف المتعلق بالجسد التي ضحى العرب من اجلها بالروح والمال

، وكأن اظهار المرأة بهذه الصورة يرسخ حالة ضعفها مقابل القوة التي ستظهرها ان كانت في موضع الرفض للامتهان الجسدي والمطالبة بالمساواة في تمثل قيمة الشرف « فالطوق الاجتماعي يمكن ان يتغاضى عن افحش الخروقات حين يغلفها الستر والخفاء على الرغم من علم المجتمع بوقوعها ولكن يصعب على المجتمع قبول الخروقات التي تحمل علامة تمرد»[١١٦].

ومثلما ظن بعض الباحثين - وهو يسوق الشواهد التي ترجح ظنه - ان الشعر المبتذل الذي جعل من المرأة صورة حسية فقط هو شعر منسوب زورا الى المرحلة البدائية في تشكيل النص الادبي العربي ، اذ ان تدوينه جاء في العصر العباسي والذائقة في هذا العصر استلزمت هذا التصوير[١١٧] ، امكن القول ان هذا الكم من تنميط المرأة في الأمثال العربية بصورة حسية تجردها من المثل العليا التي نادت بها القيم العربية ممكن ان يكون موضوعا للغاية ذاتها من تسلية والهاء في مجالس السمر.

وهذا الانتقاص من قيمة المرأة وتمثلاتها في القيم العليا ينقضها وبشكل جذري المشاركة في القيمة الانسانية وكونها متوحدة مع الرجل في تشكيل المجتمع وذلك في ما سار مثلا « النساء شقائق الاقوام» [١١٨] ، فحين يذكر على لسان الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في متن الأمثال مع ان المؤلف خص في نهاية كتابه جانبا للاحاديث الواردة على لسانه صلوات الله عليه وسرت مسرى الأمثال ، دلالة على ان هذا القول شاع اكثر من غيره في تلك الحقبة ، وفي الخبر اعمام في حين يكون في المثل اللاحق « اياكم وخضراء الدمن «[١١٩] ، خطاب للرجل لا المرأة .

في حكاية المثل «ساكفيك ما كان قوالا»[١٢٠] ، الرجل هنا يقعده كبر السن والخوف من العشيرة عن الدفاع عنها ، فتشكو له زوجه عن تعرض ابناء اخوته اليها فيطلب منها ان تردهم بكلام فترفض ذلك وتعده من المجاملة التي لا تصح في هذا المقام.

والدفاع عن الحمى حين ترتبط

بالامومة فان لها دلالة اعمق فهي فضلا عن صورة البطل فان تجرد الام من الضعف قيمة اخرى ، فتطالعنا الام التي لا تضعفها العاطفة وهي تحث ابنها على التحلي باخلاق الفرسان والذب عن الحمى وان كلفه ذلك حياته في حكاية المثل « احمى من مجير الطعن»(١٢١) ، فالمرأة التي تسبى وان عوملت بدلال وتلطف فهي تقول : « شر يوميها واغواه لها «(١٢٢).

والام التي تفخر ابنتها امامها بانها تحامي عن نفسها بان ترمي التراب بوجه راكب يسالها نفسها فتجيبها امها ان الاولى بها ان تدخل الحصن بدل ان تقف في الطريق (١٢٣).

وهي على ضعفها البدني الذي لا يسمح لها بالدفاع عن جسدها بالقوة ، تحتال على من يريد المس من شرفها ، فتجعله عبرة ومثلا (١٢٤).

الخاتمة :

ومن خلال ما تقدم ، فان البحث لمح عددا من النتائج يمكن اجمالها بما ياتي :

❖ان وجود المرأة في الأمثال (منتجة، مخاطبة، مشتركة في الحدث المحيط بالمثل) يشكل نسبة قليلة من العدد الكلي للامثال سواء القديمة منها او ما قاله المولدون.

❖للامثال العربية بعدها جزءاً من التراث اهمية استثنائية في مجال الدراسات الثقافية لدورها المهيمن في تشكيل المثل السائدة في المجتمع قديما وحاليا.

❖وجود المرأة منتجة للنص (المثل) له دلالة على دورها في تشكيل الفعل الثقافي على الرغم من محاولات تغييبها في العصور اللاحقة من ساحة الفعل الثقافي .

❖هناك تناقضات واضحة في الرسائل التي وجهتها الأمثال بشان المرأة مما يستدعي حفرا اكثر عمقا في تاصيل هذه الأمثال ليعرف أي منها موضوع وايها اصيل.

❖مثلت الام صورة نمطية غير فاعلة على الرغم من حضورها

الجيد نسبة لصور اخرى ، فلم تنقل الأمثال عنها دورها صانعة للانسان ، وانما اقتصر دورها على انتاجه المادي.

❖مثلت الانثى وجودا مقتصرا على وضعها الجسدي من دون وجود قيمة فاعلة لها ، فان وجدت فهي تلهي الرجل عن الفعل .

❖وجدت صورة المرأة الكاهنة لتؤكد تنميط العقلية الذكورية لميل المرأة الى الغيبيات وابتعادها عن المنطق العلمي في التحليل.

❖برزت صورة المرأة الحمقاء بتنميط بين ، فقد جاءت الأمثال في مجالين احدهما للسخرية منها وجعلها مادة للتندر والتفكه والاخر للتحذير منها باعمام جعل من كل امراة حمقاء بالضرورة.

❖اراد التنميط الذكوري في التراث حصر تمثيل القيم العليا بالرجال دون النساء ، وقد استطاعت الأمثال من تسجيل جذور لها في تمثلات هذه القيم مثل الفروسية والكرم والشرف.

❖لم تغب المرأة العربية عن ساحات القتال ، بل قد ضرب بوجودها البارز عدد من الأمثال التي تعكس شجاعة وذكاء وحكمة.

❖غابت المرأة غيابا شبه تام عن ثيمة الكرم التي اهتم بها العربي وسعى ليتصف ويعرف بها باشكال عدة.

❖هناك عدد من الأمثال التي تظهر المرأة فيها محامية عن عرضها ومدافعة عن نفسها بالقول والفعل على الرغم من ضعفها البدني والاجتماعي.

❖شغلت صورة المرأة الانثى / الخائنة والمغوية مساحة اكبر من أي صورة اخرى ، واذ يتنافى قبول ذلك مع ما تعارف من سيادة لقيم الشرف في الحضارة العربية امكن القول ان في هذا التصوير من المبالغة كثير ، وغايته ان هذه الأمثال كانت مادة السمر لمجالس ذكورية.

❖لما ورد هذا التقدير للقيم العليا التي تمثلها المرأة في كتاب الأمثال الذي ينقل اصول الثقافة العربية امكن لنا ان ندرك ان التشويه الذي حصل لاحقا لصورة المرأة المتعلقة بهذه القيم بالذات انما هو دخيل على الساحة العربية

الهوامش :

() الخروج من التيه : ٢٩٦

(٢) مجمع الأمثال : ٢ : ٣٧٦

(٣) لسانيات الخطاب وانسياق الثقافة : ٩٠

(٤) المسرح الجزائري :١١

(٥) الادب والنسوية : ١٠٠

(٦) ينظر: تاريخ الادب العربي قبل الاسلام : ٣٤٥ ، ٣٤٩

(٧) فصول عن المرأة : ٩-١٠

(٨) ينظر: المزهر في علوم اللغة وانواعها ١: ٣٨٥

(٩) ينظر: تاريخ الادب العربي قبل الاسلام : ٣٤٤

(٠) العصر الجاهلي : ٤٠٤

*امثال المولدين في مجمع الأمثال لا يذكر قائلها

(١) نساء بلا امهات : ٧٦-٧٧

(٢) الخطاب الروائي النسوي : ٢٢٠

(٣) الزواج السردي الجنوسة النسقية : ٧٥

(٤) النساء والابداع :٨٨

(٥) مجمع الأمثال : ١: ١٧٣

(٦) م.ن. : ١: ١٧٣

(٧) ن. : ٢ : ١٦١

(٨) المرأة واللغة :١١

(٩) سقوط المحرمات : ١٤-١٥

(٢٠) مجمع الأمثال : ٢: ١١

(٢) تأنيث القصيدة : ١٥

(٢٢) نقد الشعر : ٩٦ ، ١٣٤

(٢٣) مجمع الأمثال : ١: ١٨٦

(٢٤) م.ن. : ٢: ٢٦٨

(٢٥) ن. : ١: ١٤٧

(٢٦) ن. : ٢ : ٢٩٧

(٢٧) ن. : ٢: ٦٧

(٢٨) ن. : ١:١٣٧

(٢٩) ن. : ٢ :٦٩

(٣٠) ن. : ١: ٢٧٥

(٣) ن. : ١: ١٠٠

(٣٢) ن. : ٢ : ٢٣١

(٣٣) النمل : ٣٤

(٣٤) مجمع الأمثال : ٢ : ٢٠٨

(٣٥) م.ن. : ١ : ٢٧٣

(٣٦) موسوعة النظرية الثقافية : ٣٧٦-٣٧٧

(٣٧) نظرية الصورة الذهنية واشكالية العلاقة من التنميط : ١٣٦

(٣٨) المرأة ؟ : ٢١٥

(٣٩) الادب والنسوية : ٧٣

(٤٠) بلوغ الارب : ٢: ٩

(٤) ينظر : كنز العمال : ١٦: ٣٠٢ ، وينظر الجامع الكبير للترمذي : ١: ٥١

(٤٢) العقد الفريد : ٢ : ٤٦٠

(٤٣) مجمع الأمثال : ٢ : ٤١١-٤١٢

(٤٤) موسوعة النظرية الثقافية : ٤٩٩-٥٠٠

(٤٥) التجزيئية في الوطن العربي : ٣٨

(٤٦) الاسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي : ٣١٢

(٤٧) ينظر : صورة المرأة المثال ورموزها الدينية : ١٧٥

(٤٨) مجمع الأمثال : ١ : ١٨٢

(٤٩) م.ن. : ١ :٣٩١

(٥٠) ن. : ١ :٩٧

(٥) ن. : ١ : ١٩٦

(٥٢) ن. : ٢ :٣٨

(٥٣) ن. : ٢ : ٣٨٦

(٥٤) الخطاب الروائي النسوي : ١٨

(٥٥) دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي : ٧٩٧

(٥٦)المرأة الثالثة :١٢٦

(٥٧) مجمع الأمثال : ٢ : ٦٥

(٥٨) م.ن. : ٢ : ١٩٢

(٥٩) ن. : ١ :٥٥٥

(٦٠) دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي : ٧٧٤

(٦١) مجمع الأمثال : ٢ :٢٥٢

(٦٢) م.ن. : ١ : ٥٠

(٦٣) ن. : ١ : ١٨٠

(٦٤) ن. : ١ : ٣٥١

(٦٥) ن. : ١ : ٢٥٣

(٦٦) انثوية العلم : ٢٥٣

(٦٧) ينظر :التخلف الاجتماعي - مدخل إلى سيكولوجية الانسان المقهور : ١٩٩

(٦٨) انثوية العلم :٢٥٥

(٦٩) مجمع الأمثال : ١ :١٥٨

(٧٠) م.ن. : ١: ٢٨٧

(٧) المرأة الثالثة : ١٢٨

(٧٢) مجمع الأمثال : ١ : ٢٥٢

(٧٣) ينظر : م.ن. : ١ : ٢٨٢، ٢ : ١١١ ، ٢ : ٤٩٠

(٧٤) ينظر : ن. : ١ : : ٢٨٣، ١: ٣٠٥

(٧٥) ينظر : ن.: ١ : ٢٨٣

(٧٦) ن.: ١ :٣٠٥

(٧٧) ينظر : ن. : ١ : ٣٢٦

(٧٨) ن.: ٢: ٣٦٦

(٧٩) ن. : ١: ٤٣٩

(٨٠) ن.: ٢: ٣٤٢

(٨) ينظر :ن.: ٢: ٤٢

(٨٢) ينظر : ن. : ١ : ٤٣٧

(٨٣) ن.: ١ : ٣٠٥

(٨٤) ن. : ١: ٣٠٦

(٨٥) ن.: ٢ : ٣٢٣

(٨٦) ن.: ١ : ١٩٠

(٨٧) ن. : ٢ : ٤٠١

(٨٨) ينظر : ن. : ٢ : ٢٥٤

(٨٩) ن. : ١: ٥٤٤

(٩٠) ن.: ٢ : ٢٣٧

(٩) ن. : ٢ : ٢١٧

(٩٢) ن.:١ :٤٠٧

(٩٣) ينظر : ن. : ٢: ٣٩٦

(٩٤) نقد القيم : ٢١

(٩٥) تأنيث القصيدة : ٨٧

(٩٦) التجزيئية في الوطن العربي : ٣٩-٤٠
(٩٧) ينظر : نقد الشعر : ٩٦ ، ١٣٤
(٩٨) المرأة في القرآن : ٣٣
(٩٩) حضارة العرب في عصر الجاهلية :١٢٧
(٠٠) ينظر : وعي الذكورة والمرأة: ١٨٣
(٠١) الأمثال العربية والعصر الجاهلي : ١٤٠
(٠٢) ينظر : ديوان عمر بن ابي ربيعة : ٢٩٠ ، ونسب البيت إلى (السموءل بن عاديا اليهودي) في حماسة المرزوقي / ينظر : شرح ديوان الحماسة : ١ : ١١٧
(٠٣) مجمع الأمثال : ٢ : ٥١
(٠٤) م.ن.: ١ : ١٧٤
(٠٥) ن.: ٢ : ٥٣
(٠٦) ينظر: ن. : ٢ : ٤٤٤ ، ٢ : ٤٤٥
(٠٧) ينظر : ن. : ١ : ٤٧٣
(٠٨) ينظر : ن.: ٢ : ٤٤٦
(٠٩) ديوان الصعاليك :١٨٧
(١٠) مجمع الأمثال : ١ : ٤٩٥
(١١) م.ن. : ١ : ١٨٤
(١٢) الامالي : ١ : ١٩٨
(١٣) كشكول البهائي : ٢ : ٣٣٦
(١٤) ينظر : مجمع الأمثال : ١ : ٢٤١
(١٥) م.ن. : ١ : ١٣٤
(١٦) نازك بين الكتابية : ١٦
(١٧) ينظر :جماليات الشعر العربي - دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي:٢٨٧
(١٨) مجمع الأمثال : ١ : ٦١
(١٩) م.ن. : ١ : ٦٤
(١٢٠) ن.: ١ : ٤٣٤
(٢١) ن.: ١ : ٢٨٦
(٢٢) ن. :١ : ٤٥٤
(٢٣) ينظر: ن.: ١ : ٤٩٤ ، ٢ : ٤٨٩
(٢٤) ينظر : ن. : ١ : ٢٧٣

ثبت المصادر والمراجع :

الادب والنسوية، بام موريس ،تر:سهام عبد السلام ،المجلس الاعلى للثقافة ،القاهرة ،ط١، ٢٠٠٢

الاسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي ،خديجة العزيزي، بيسان، بيروت، ط١، حزيران
٢٠٠٥

امالي المرتضى، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤

الأمثال العربية والعصر الجاهلي ، محمد توفيق ابو علي ، دار النفائس، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨

انثوية العلم - العلم من منظور الفلسفة النسوية ، د.لينـدا جين شيفرد ، تر:د.يمنى طريف الخولي ، المجلس الاعلى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، د.ط. ، ٢٠٠٤

بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ،محمود شكري الالوسي البغدادي ، شرحه : محمد بهجة الاثري ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، د.ط. ، د.ت.

تاريخ الادب العربي قبل الاسلام ، د.نوري حمودي القيسي ود.عادل جاسم البياتي ود. مصطفى عبد اللطيف ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، د.ط. ، ١٩٧٩

تأنيث القصيدة والقارئ المختلف ، د.عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط٢، ٢٠٠٥

التجزيئية في المجتمع العربي ، نازك الملائكة ، دار العلم ، بيروت ، ط١، مايو ١٩٧٤

التخلف الاجتماعي - مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور، د.مصطفى حجازي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط٩، ٢٠٠٥

الجامع الكبير للترمذي ،للامام الحافظ ابي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩هـ)، حققه : د. بشار عواد معروف ، دار الغرب الاسلامي ،بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦

جماليات الشعر العربي - دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي، د. هلال جهاد ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧

حضارة العرب في عصر الجاهلية ، د.حسين الحاج حسن ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت،ط٤ ، ٢٠٠٦

الخروج من التيه -دراسة في سلطة النص، د.عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة ،الكويت ، د.ط. ،٢٠٠٣

الخطاب الروائي النسوي ،د.سهام ابو العمرين ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مصر، ط١، ٢٠١١

دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي ، د.نوال السعداوي ، المؤسسة

العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط٢، ١٩٩٠
ديوان الصعاليك، شرح:د.يوسف شكري فرحات،دار الجيل،د.ط.،بيروت،٢٠٠٤
ديوان عمر بن ابي ربيعة، شرح :علي العسيلي،،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،بيروت ط١، ١٩٩٨،
الزواج السردي الجنوسة النسقية ، عبد الله الغذامي ، فصول العدد ٦١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٣
سقوط المحرمات - ملامح نسوية عربية في النقد المسرحي ، وطفاء حمادي ، دار الساقي ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٨
شرح ديوان الحماسة ، ابي علي احمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، نشره : احمد امين وعبد السلام هارون ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٥١
صورة المرأة المثال ورموزها الدينية عند شعراء المعلقات(اطروحة) ، طه غالب عبد الرحيم طه ،كلية الدراسات العليا- جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، ٢٠٠٣
العصر الجاهلي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط٢٦ ،٢٠٠٧
العقد الفريد ، ابي احمد بن محمد بن عبد ربة الاندلس ، تحقيق: ابراهيم محمد صقر ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٨
فصول عن المرأة ، هادي العلوي ،دار الكنوز الادبية ، بيروت ، ط١، ١٩٩٦
كشكول البهائي ، بهاء الدين محمد بن الحسين المعروف بالشيخ البهائي ، دار المرتضى ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٨
كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال المؤلف :علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ (المحقق: بكري حياني - صفوة السقا الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة :الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١
لسانيات الخطاب وانساق الثقافة ، د.عبد الفتاح احمد يوسف، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط١، ٢٠١٠
مجمع الأمثال ، ابي الفضل احمد بن محمد بن احمد ابن ابراهيم النيسابوري الميداني ، قدم له : نعيم حسين زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠١٠
المرأة ؟ بحث في سيكولوجية الاعماق ، بيير داكو ، تر:وجيد اسعد ، مطبعة الرسالة ، ط٣، ١٩٩١
المرأة الثالثة ،جيل ليبوفيتسكي، تر:دينا مندور ، المركز القومي للترجمة ، ط١، ٢٠١٢
المرأة في القرآن ، عباس محمود العقاد ، دار الهلال ، مصر، د.ط. ،د.ت.
المرأة واللغة ،د.عبد الله محمد الغذامي ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ،ط٣،

٢٠٠٦
المزهر في علوم اللغة وانواعها / جلال الدين السيوطي(ت)/ شرح وتعليق :محمد ابو الفضل ابراهيم واخرون/ المكتبة العصرية / صيدا-لبنان/ ٢٠٠٩
المسرح الجزائري- دراسات تطبيقية في الجور التراثية وتطور المجتمع ،د. احسن ثليلاني ، دار التنوير، الجزائر ، ط١ ، ٢٠١٣
موسوعة النظرية الثقافية ،اندرو ادجار وبيتر سيدجويك ، تر:هناء الجوهري ،المركز القومي للترجمة ،القاهرة ،ط١ ،ع١٣٥٧، ٢٠٠٩
نازك الملائكة بين الكتابية وتأنيث القصيدة ، د.عبد العظيم السلطاني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١، ٢٠١٠
نساء بلا امهات - الذوات الانثوية في الرواية النسائية السعودية ، سماهر الضامن، الانتشار العربي ، بيروت، ط١، ٢٠١٠
النساء والابداع :المبدعة العربية بين مخالفة الصورة النمطية للمرأة في الذاكرة الجماعية وتفكيك الخطاب السائد ، فوزية عبد الله ابو خالد ، ضمن كتاب : النسوية العربية رؤية نقدية ، مجموعة باحثات ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط١، حزيران ٢٠١٢
نظرية الصورة الذهنية وإشكالية العلاقة مع التنميط ، زينة عبد الستار مجيد الصفار ، مجلة الباحث الاعلامي ، كلية الاعلام جامعة بغداد ،ع٢، ٢٠٠٦.
نقد الشعر ، لابي الفرج قدامة بن جعفر ن تحقيق : د.محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،د.ط ،د.ت.
نقد القيم - مقاربات تخطيطية لمنهاج علمي جديد ، د. عبد الله بن احمد الفيفي ، دار الانتشار العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦
وعي الذكورة والمرأة ، حسين المناصرة ، فصول ع ٦٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٥

Abstract

Although the number of proverbs that women attended either productive or address or participation in the tale likewise a bit relative to the total number of sayings in the book (Proverbs) of the field, but has exceptional importance while reading this existence that a continuing presence in effectiveness and impact, especially when read feminist monetary mechanisms, which looked to literature as a contributor to the formation of human existence, identity, when the literary product of unsheathed heritage especially The civilization attaches great importance to heritage, old & new, need to search within this curriculum-women-becomes more important

حولية المنتدى